شؤون الشرق الأوسط

ISSN 2822-4981
9 772822 639003

ŞU'UN EL ŞARK EL EVSAT
ORTADOĞU İŞLERİ

مجلة سياسة دولية

المجلد: 4 العدد: 16
يناير-فبراير 2024

أفريقيا والحرب على غزة: الوقوف بوجه النفاق العميق

الصادق الفقيه

بعد اندلاع الحرب على غزة: نظام الشرق الأوسط "الجديد" في خطاب "11 سبتمبر" الإسرائيلي

تامر خاشقجي

مصر والحرب على غزة: من الإطار العربي إلى الإسلامي

خيري عمر

الحرب على غزة

مقابلة

جورجيو كافييرو
عبد النور تومي

الدبلوماسية التركية خلال الحرب على غزة: ضرورة إحلال السلام والاستقرار الإقليمي

إسماعيل نعمان تلجي

الانتخابات المحلية الأخيرة في العراق من منظور الغايات السياسية

واثق السعدون

قراءة لمواقف جماعة الحوثي من الحرب على غزة

أنور قاسم الخضري

بعد اندلاع أحداث غزة الأخيرة، اكتفت إيران بالإيعاز للجماعات والحركات الموالية له، في كلٍّ مِن لبنان والعراق واليمن، للقيام ببعض العمليَّات العسكرية، ضدَّ إسرائيل وبعض المواقع العسكرية والمدنية الأمريكية، في العراق وسوريا. وكان لجماعة الحوثي في اليمن الدور الأبرز مِن بين هذه الجماعات، إذ شنَّت هجمات عدَّة ضدَّ إسرائيل مِن خلال قصفها بالصواريخ البالستية والطائرات المسيَّرة، ومؤخَّرًا استهدفت السفن وطرق الملاحة الدولية في تصعيد هو الأوَّل مِن نوعه في المنطقة.

مع عدوان دولة الكيان الصهيوني "إسرائيل" على قطاع غزَّة، وارتكابها مجازر إبادة جماعية، على خلفية قيام حركة المقاومة الإسلامية "حماس" بعملية "طوفان الأقصى"، في السابع مِن أكتوبر 2023، باتت الدول العربية في موقف محرج إزاء مناشدات أهالي غزَّة، وحركات المقاومة بها، للدول العربية للتدخُّل لإيقاف الحرب، وإسناد الفلسطينيين في دفاعهم عن أنفسهم. فهذه الدول باتت عاجزة عن التَّحرُّك ضدَّ إسرائيل، خاصَّة في ظلِّ الإسناد الكبير الذي أبدته الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، ودول أوربِّية أخرى، لإسرائيل، وحضورها بأساطيل حربية في البحر المتوسِّط والمنطقة.

في المقابل عملت إيران على استثمار هذا الحدث لصالحها وصالح القوى التابعة والموالية لها؛ خصوصًا في ظلِّ معاتبة "حماس" لمحور المقاومة، الذي تتزعَّمه إيران في المنطقة، لعدم قيامه بأيِّ دور تجاه ما يجري على غزَّة مِن عدوان في الأيَّام الأولى للعدوان الإسرائيلي، وهو ما تسبَّب في إحراج النظام الإيراني، خصوصًا أنَّ إيران تزايد منذ أربعة عقود على قضية القدس وفلسطين، وتتِّخذ مِنها ذريعة لتصدير ثورتها، وعسكرة الجماعات الموالية لها في المنطقة، وإمدادها بالسلاح، وبناءها بشكل ميليشاوي. وقد هدفت نداءات قيادات المقاومة الفلسطينية لإيران، ومحور المقاومة عمومًا، للمشاركة في المعركة، لتشتيت قوى الكيان الصهيوني على أكثر مِن جبهة، وتخفيف مستوى تركيز هجومه على غزَّة.

بعد اندلاع أحداث غزة الأخيرة، اكتفت إيران بالإيعاز للجماعات والحركات الموالية له، في كلٍّ مِن لبنان والعراق واليمن، للقيام ببعض العمليَّات العسكرية، ضدَّ إسرائيل وبعض المواقع العسكرية والمدنية الأمريكية، في العراق وسوريا. وكان لجماعة الحوثي في اليمن الدور الأبرز مِن بين هذه الجماعات، إذ شنَّت هجمات عدَّة ضدَّ إسرائيل مِن خلال قصفها بالصواريخ البالستية والطائرات المسيَّرة، ومؤخَّرًا استهدفت السفن وطرق الملاحة الدولية في تصعيد هو الأوَّل مِن نوعه في المنطقة.

أسباب اختيار إيران للحوثيين للقيام بهذا الدور

يبدو أنَّ إيران اختارت جماعة الحوثي لهذا الدور الأبرز دون بقيَّة الجماعات والحركات التابعة لها في المنطقة لعدَّة أسباب، مِنها:

1- أنَّ جماعة الحوثي ليست محسوبة على ذات الخط المذهبي الطائفي للنظام الإيراني، ولا تلتزم نظرية "الولي الفقيه"، إذ لها مشروعها المذهبي والسياسي الخاص بها، رغم تحالفها وتخادمها مع إيران بشكل تام بشأن قضايا المنطقة. وعليه، فلا إشكال عند النظام الإيراني في التضحية بها في سبيل إبقاء القوى المحسوبة عليها طائفيًّا وسياسيًّا، ككيانات ملتزمة بمرجعية "الولي الفقيه".

2- أنَّ قيام جماعة الحوثي بهجمات ضدَّ إسرائيل مِن اليمن لا يمكن أن تكون إلَّا جويَّة، مِن خلال صواريخ بعيدة المدى وطائرات مسيَّرة، وهذا يجعل المناوشات تقتصر على القصف الجوي المتبادل، وليس المواجهات العسكرية المباشرة على الأرض.

3- أنَّ موقع اليمن على مضيق باب المندب يتيح للحوثيين مهاجمة السُّفن التجارية، أو سفن نقل النفط والغاز، ما يرفع كلفة أسعار الطاقة بالنسبة للدول الأوربِّية والأمريكية، ويتيح قدرًا مِن المناورة لإيران للضغط على هذه الدول فيما يتعلَّق بمصالحها ونفوذها ومكاسب الجماعات التابعة والموالية لها في المنطقة.

4- أنَّ أيَّ هجوم مرتد مِن إسرائيل والولايات المتَّحدة ضدَّ الحوثيين لن يتسبَّب بأضرار على إيران ومصالحها ونفوذها في العراق وسوريا ولبنان، ما أصبح يُعرف بـ"الهلال الشيعي".

دوافع الحوثيين الداخلية

تأسَّست الجماعة على يد حسين بدر الدِّين الحوثي، ووالده المرجع الزيدي بدر الدين، على أساس استلهام أفكار وآراء روح الله الخميني، ودمجها بالمذهب الزيدي في صيغة تلفيقية تستهدف إيجاد تحالف بين الجماعة والنظام الإيراني. وظهرت جماعة الحوثي كقوَّة ميليشاوية مسلَّحة - لأوَّل مرَّة- عام 2004م. ودخلت -حتَّى عام 2010م- في ستِّ جولات مِن الحرب مع الدَّولة اليمنية، تحت شعار "الصَّرخة"، وهو شعار يردِّده الحوثيون فحواه: (الموت لأمريكا.. الموت لإسرائيل، اللَّعنة على اليهود، النصر للإسلام).

وتحت شعار "الصرخة" أقدمت الجماعة على الخروج على الإجماع الوطني ومخرجات الحوار الوطني الشامل، وضرب قوى ثورة 11 فبراير 2011م, بالانقلاب

على السلطة الشرعية، وإسقاط العاصمة اليمنية (صنعاء)، بقوَّة السلاح، في 21 سبتمبر 2014م، وقاتلت كلَّ مَن يخالفها مِن المكوِّنات السياسية والاجتماعية والفكرية، واستباحت دمائهم وأموالهم مِن منطلق أنَّهم عملاء وخونة للعدوان (السعودي- الأمريكي) على اليمن، حسب وصفهم. وقادت الجماعة أتباعها للقتال في عدَّة جبهات تحت ذريعة تحرير الأقصى، ومحاربة إسرائيل، كما هو موثَّق في المقاطع المرئية التي تبثُّها الجماعة وأتباعها حول التوجيه المعنوي لمقاتليها.

طيلة الفترة الماضية (2004م-2023م)، لم تُقدِم جماعة الحوثي على استهداف أيِّ قوى أجنبية، ولم تقاتل إسرائيل أو الولايات المتَّحدة أو بريطانيا، ولم تستهدف مصالحهم وقطعهم الحربية المنتشرة في المنطقة، أو في البحر الأحمر؛ وكانت هجماتها جميعًا تقتصر على اليمنيين، وعلى دول الجوار الخليجي (كالسعودية والإمارات).

في 31 أكتوبر الماضي (2023م), أعلن المتحدِّث العسكري لجماعة الحوثي أنَّ جماعته أطلقت عدَّة صواريخ وطائرات مسيَّرة تجاه إسرائيل, وأنَّ هذا هو الهجوم الثَّالث الذي تقوم به الجماعة في هذا الشَّأن؛ دون أن يكشف عن حجم الهجوم المشار له. وقبل ذلك, وتحديدًا في 19 أكتوبر, أعلنت وزارة الدِّفاع الأمريكية أنَّ المدمرَّة "يو.إس.إس. كارني", الموجودة في البحر الأحمر, أسقطت 3 صواريخ، وعددًا مِن المسيَّرات التي أطلقها الحوثيون، وأنَّه لا يمكن على وجه اليقين تحديد هدف الصَّواريخ، وأنَّ مِن المحتمل أن تكون موجَّهة نحو أهداف في إسرائيل. لقد تبنَّت جماعة الحوثي خطابًا دعائيًّا بشأن القدس والأقصى وفلسطين، منذ أيَّامها الأولى، غير أنَّها هدفت بالأساس إلى السيطرة على الحكم في اليمن، والانفراد به، وفق التصوُّر الذي يحمله المذهب الزيدي للحكم، والخبرة التاريخية لحكم الأئمَّة الزيديين في اليمن، مع الإفادة مِن "الثَّورة الإسلامية" في إيران. وقد عمدت الجماعة عقب هيمنتها على صنعاء إلى الهجوم على مؤسَّسات يمنية وفلسطينية ناشطة في دعم قضية فلسطين، وإغلاقها، وحصر أيَّ عمل في هذا الشَّأن بها؛ متَّهمة القوى الأخرى بالعمالة لإسرائيل!

وتأتي هجمات الحوثيين ضدَّ إسرائيل بالصَّواريخ والطائرات المسيَّرة، واستهداف السُّفن التجارية في البحر الأحمر، ضمن توظيف إيراني شمل "حزب الله" في لبنان، والجماعات الأخرى بالتوازي؛ فالحوثيُّون يستهدفون إسرائيل بأسلحة إيرانية بالأساس. ومِن غير الممكن أن تنخرط الجماعة في حرب إقليمية دون رضا وإسناد إيراني، وربَّما روسي وصيني مِن ورائه.

ويهدف الحوثيون مِن هذه الهجمات لما يلي:

1- تحقيق أعمال دعائية لتحسين صورة جماعة الحوثي:

تريد جماعة الحوثي مِن وراء هذه العمليات العسكرية الموجَّهة ضدَّ إسرائيل ومصالحها تحقيق أهداف دعائية واسعة، تمكِّنها مِن تسويق خطابها وصورتها في أوساط أتباعها والأوساط الشعبية عمومًا في اليمن؛ إذ ستبدو مِن خلال هذه الهجمات قوَّة مناصرة لأهل غزَّة والقضية الفلسطينية، وندًّا لإسرائيل، وطرفًا مؤثِّرًا في المنطقة. وهو ما سيرفع رصيدها الجماهيري في ظلِّ موجة التعاطف الهادرة التي تعيشها المنطقة مع الأحداث الراهنة في غزَّة وفلسطين.

2- الهروب مِن الضغوط الشعبية:

يعدُّ الدخول في مواجهة عسكرية مع قوى خارجية فرصة ذهبية للجماعة لصرف انتباه اليمنيين عن فشلها في توفير الاحتياجات الأساسية والخدمات الرئيسة للشعب في مناطق سلطتها ونفوذها، وللإفلات مِن الضغوط الشعبية التي تواجهها، نتيجة امتناعها عن دفع مرتَّبات القطاع الأوسع مِن الموظَّفين الحكوميين لما يزيد عن ستِّ سنوات، لا سيَّما وأن توقُّف الحرب -منذ أبريل 2022م- أبطل ذرائعها بهذا الشَّأن، حيث لم يُعد لديها ما تتحجَّج به بشكل مُقنِع، خاصَّة وأنَّ موجة السخط الشعبي كانت في تزايد مستمرٍّ، وأخذ التململ الشعبي يتبلور في كيانات مجتمعية، كما هو الحال مع نادي المعلِّمين اليمنيين، وأعضاء هيئة التدريس بالجامعات الحكومية؛ ما يشي باتِّجاه الأمور نحو احتجاجات شعبية أوسع. ومِن المفارقات، أنَّ الجماعة انتهزت الأحداث في غزَّة لفرض المزيد مِن الجبايات والإتاوات على التُّجار والسكَّان في مناطق سيطرتها، لدعم قوَّتها

الصاروخية، وإطلاق الصواريخ والطائرات المسيَّرة تجاه إسرائيل.

3- محاولة كسب شرعية داخلية وإقليمية:

حرصت جماعة الحوثي على أن تتجاوز بهذه العملية السلطة الشرعية وبقيَّة القوى اليمنية، وأن تقدِّم نفسها على أنَّها القوَّة المهيمنة التي تُمثِّل الشعب اليمني، وتتَّخذ القرارات والمواقف الحاسمة نيابة عنه؛ فمن شأن هذه العمليات أن تُوفِّر لها قدرًا مِن الشرعية الشعبية في ظلِّ الارتباط العاطفي الكبير بين الشَّعبين اليمني والفلسطيني، واهتمامه بالقضية الفلسطينية، وفي ظلِّ الخذلان الواسع للشعب الفلسطيني مِن قبل الأنظمة الرسمية العربية والإسلامية. كما أنَّ قيامها بهذه العمليات يحرج الأنظمة العربية، ويعزِّز أسهم محور المقاومة الذي تتزعَّمه إيران، وتنخرط الجماعة ضمنه؛ لذا حرص إعلامها على التباهي بأنَّهم حاضرين في غرفة العمليَّات المشتركة لما يُسمَّى "محور المقاومة"، وعلى الالتزام بما يُسمَّى مبدأ "وحدة الساحات" لتلك القوى.

4- توفير ذريعة للحفاظ على حالة الاستنفار وعسكرة الحياة العامة:

إنَّ تصعيد جماعة الحوثي مِن عمليَّاتها ضدَّ إسرائيل يأتي ضمن سياسة فرض هيمنتها السِّياسية الأحادية على المشهد اليمني، وإحكام قبضتها الأمنية ضدَّ أيِّ حراك شعبي ضدَّ سياستها المنتهكة للحقوق والحرِّيات، وتبرير هجماتها العسكرية ضدَّ مناطق مخالفيها، إذ لا تزال تطمح في إسقاط محافظة مأرب الغنية بالنفط والغاز تحت هيمنتها. وهي بحاجة إلى قضية قتالية جديدة تمكِّنها مِن التماسك الداخلي، والبقاء في حالة حرب واستنفار، لا سيَّما بعد سريان الهدنة لما يزيد عن عام ونصف، وإمكانية انسحاب السعودية والإمارات عسكريًّا مِن الحرب في اليمن.

حدود ومستويات هجمات الحوثيين على إسرائيل

في ظلِّ الدوافع والأسباب التي تقف وراء عمليات جماعة الحوثي العسكرية التي تستهدف إسرائيل فإنَّ طبيعة هذه العمليَّات ومستوى الأعمال العسكرية ضدَّ إسرائيل سيبقى محكومًا بقواعد الاشتباك الناظمة لعلاقة إيران بالولايات المتحدة وإسرائيل في المنطقة، ولا يمكن أن تذهب أبعد مِن ذلك. وبالتالي، فإنَّ الصواريخ والطائرات المسيَّرة التي سترسل ستظلُّ محدودة الأثر، وغير مؤثِّرة على المشهد العسكري في إسرائيل، لأنَّه يتمُّ اكتشافها وإسقاطها في وقت مبكِّر، أو أنَّها تقع في مناطق نائية دون إحداث أيِّ ضرر يذكر، فيما ستركِّز الجماعة على استثمار هذه العمليَّات دعائيًّا وإعلاميًّا على المستوى الشعبي.

كما أنَّ استهداف السُّفن التجارية أو الحربية في البحر الأحمر لن يأخذ بعدًا عسكريًّا، بقدر ما سيبقى بعدًا دعائيًّا، حيث أنَّ القدرات العسكرية البحرية للجماعة لا تؤهِّلها لمواجهات عسكرية في عرض البحر ضدَّ الأساطيل الأمريكية والغربية المنتشرة في المنطقة. وما قامت به الجماعة مِن اختطاف لسفينة تجارية مملوكة لرجل أعمال إسرائيلي، ومِن استهداف سفن أخرى بالصواريخ، في ظلِّ القطع البحرية والغربية المنتشرة في المنطقة، يثير عدَّة تساؤلات حول مدى انخراط جماعة الحوثي في مخطَّط خارجي يستهدف اليمن والمنطقة، ويفرض حضورًا عسكريًّا أجنبيًّا على الأراضي اليمنية تحت ذريعة هذه الهجمات. فقد ظلَّت رغبة قيام قواعد عسكرية في الجزر والسواحل اليمنية حاضرة لدى الولايات المتحدة الأمريكية منذ عام 1990م، لكنَّها وُوجهت برفض شعبي ورسمي يمني. وفي ظلِّ الحديث عن قيام دولة الإمارات العربية المتَّحدة باستحداث منشئات عسكرية في بعض الجزر اليمنية في البحر الأحمر والمحيط الهندي فإنَّ مِن المتوقَّع أن يجري تسليمها لقوى أمريكية وبريطانية كما سبق وأشارت له عدَّة تقارير إعلامية في اليمن. ولن تجد الدولتان ظرفًا أنسب مِن هذا للقيام بفرض حضورها العسكري على الشرعية اليمنية تأمينًا للملاحة الدولية في البحر الأحمر وخليج عدن وبحر العرب، وهنا ستكون الجماعة قد قدَّمت خدمة جليلة للولايات المتَّحدة وحسَّنت مِن صورتها، وشوَّهت صورة الحكومة الشرعية وألجأتها للخضوع للضغوط الغربية لتأمين الملاحة الدولية في منطقة باب المندب والبحر الأحمر وبحر العرب وخليج عدن.. ■

أنور قاسم الخضري: باحث من اليمن، يعمل حالياً رئيساً لوحدة الدراسات الإستراتيجية في مركز "المخا" للدراسات في إسطنبول.